[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740

investigate the image of Bedouins and the "Bedouin Chiefs" through analyzing selected traditional oral lyrics

Miral Mahgoub Al-Tahawy miral.mahgoub@asu.edu
Associate professor of Modern Arabic literature, Arizona State University, United States

Abstract

This paper will investigate the image of Bedouins and the "Bedouin Chiefs" through analyzing selected traditional oral lyrics, folk wedding songs and mourning chants. The main goal of this study is to capture the conflicted image of Bedouin tribes in the Egyptian folk tradition, fathoming how the Egyptian collective unconscious preserved the portrayal of the Bedouin Chief reflected in oral folk tradition. I will also focus on the opposition between that image and the stereotypical one dominating by European orientalist.Classical Arab historians and European orientalist explorers have portrayed Arab Bedouin tribes known as badw or Arab tribes, who settled or migrated across Egypt and North Africa throughout various historical periods equivocally and aporetically. Historians and Western scholars have imparted multiple accounts and vivid descriptions of these settled Arab tribes, they depict the long cultural bitter conflict between urban lifestyles and traditional Bedouin culture, and epitomize the polarization and conflict between urbanized and nomadic culture and associated negative imges twards Bedouins. For example, many historians and Western scholars the oppression and injustices suffered by Egyptian peasants or the conflict between peasants and Arab Bedouin tribes in Egypt. Contrary to these historical observations, the portrayal of Bedouin Chiefs in the popular collective unconscious and oral tradtions was not necessarily negative but was rather imbued with respect in many instances and with idolization in others.I argue that, the Egyptian folk tradition was more tolerant to and welcoming of the Arab or Bedouin tribes as a tile c in the Egyptian cultural and social mosaic. My critical analysis will define the characteristiction of Bedouin Chiefs" , and will investigate the image of Bedouins and the "Bedouin Chiefs" through analyzing selected traditional oral lyrics, folk wedding songs and mourning chants. The main goal of this study is to capture that conflicted image of Bedouin culture in

the Egyptian folk tradition, fathoming how the Egyptian collective unconscious preserved the portrayal of the Bedouin Chiefs reflected in oral folk tradition and opposition between this image and the negative, stereotypical one dominating the official history of the sociopolitical notes.

Keywords: Arabic Narratology, Image of "Bedouin Chiefs", Egyptian folk, Oral tradition, Bedouin tribes

Citation: Al-Tahawy, M. Autumn & Winter (2019-2020). investigate the image of Bedouins and the "Bedouin Chiefs" through analyzing selected traditional oral lyrics. Studies in Arabic Narratology, 1(1), 92-128. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2019-2020), Vol. 1, No.1, pp. 92-128

Received: February 16, 2020; Accepted: March 4, 2020

©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0430 on Saturday August 15th 2020

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
جامعة الخوارزمي

صورة "شيوخ العربان "
قراءة في النصوص الشعبية الشفَهية المصرية

ميرال محجوب الطحاوي البريد الإلكتروني: Miral.Mahgoub@asu.edu
أستاذة مشاركة في الأدب العربي الحديث بجامعة ولاية آريزونا الإمريكية ، مدينة تمبي، الولايات المتحدة.

الإحالة: الطحاوي، ميرال محجوب. خريف وشتاء (٢٠١٩-٢٠٢٠). صورة "شيوخ العربان"؛ قراءة في النصوص الشعبية الشفهية المصرية، دراسات في السردانية العربية، ١(١)، ٩٢-١٢٨.

دراسات في السردانية العربية، خريف وشتاء ٢٠١٩-٢٠٢٠، السنة١، العدد١، صص. ٩٢-١٢٨.

تاريخ الوصول: ٢٠٢٠/٢/٨ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٢/١٩

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

يدرس هذا البحث صورة البدوي وشيوخ العربان في الموروث الشعبي، من خلال استقراء وتحليل عينة مختارة من النصوص الشعبية الشفَهية المتداولة، مثل العديدِ وأغاني الأفراح وغيرها من النصوص، وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الصور المعقدة والغامضة للبدو في مصر، ورصد كيف رسم الوجدان الجماعي المصري صورة شيخ العرب في التراث الشفهي الشعبي، ويركز البحث أيضا على التعارض بين تلك الصورة وبين الصور النمطية السالبة التي تركها لنا التاريخ الرسمي عن العربان في مصر. رسم المؤرخون العرب والمستشرقون صورا متناقضة وملتبسة للعرب والعربان

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from sanad.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

الذين سكنوا مصر أو عبروا بها في فترات تاريخية متعددة، وقد ترك لنا المؤرخون والمستشرقون كتابات كثيرة تصف نوعا من العنجهية مع الشعوب والحضارات القديمة و كيف خاضت هذه القبائل نزاعا وصراعا ثقافيا طويلا مع الشعوب الزراعية المستقرة وامتد هذا الصراع بين البداوة والعمران في فترات تاريخية طويلة، رسم البعض صورة بالغة السواد لمظالم العربان وفسادهم في أرض مصر ،كذلك كانت ملاحظات الكثير من المستشرقين تركز على الجور و المظالم التي ترتكبها جماعات البدو مع الفلاح المصري، لكن على العكس من ذلك أنتج التراث الشفهي الشعبي صورا مغايرة للعربان في مصر، وعبرت الثقافة الشعبية المصرية بشكل أكثر تسامحا وترحيبا بوجود العنصر العربي في النسيج الثقافي والاجتماعي المصري، كما أن صورة شيخ العرب في الوجدان الجماعي الشعبي لم تكن سلبية بالضرورة، بل كانت محاطة بالتقدير والتقديس أحيانا أخرى. وفي ذلك البحث أقوم باستقراء بعض النصوص الشعبية الشفاهية من عديد واغاني وامثال، بغرض تحليل تلك النصوص المتداولة ودراسة معالم صورة العربان في الثقافة الشعبية المصرية، وكيف رسم الوجدان الجماعي المصري صورة "شيخ العرب" في التراث الشعبي وكيف أن تلك الصورة تبدو متناقضة مع الصور النمطية والسالبة التي تركها لنا التاريخ الرسمي عن الصراع السياسي والاجتماعي بين الفلاحين و العربان في مصر.

الكلمات المفتاحية: السردانية العربية، الرواية، صورة شيوخ العربان، الفلكلور المصري، المأثورات الشعبية، التراث الشفهي، القبائل العربية، الأغاني الشعبية

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

المقدمة:

رسم المؤرخون العرب والمستشرقون من الرحالة صورًا ملتبسة للعربان الذين سكنوا مصر أو عبروا بها في فترات تاريخية متعددة. وقد ترك لنا المقريزى وابن إياس وابن خلدون، وغيرهم، طرفًا من سيرة هذه القبائل التي اجتاحت الشمال الإفريقي بعد الفتح الإسلامي، ومارست نوعًا من العنجهية والتعالي على أهل تلك الأمصار، وخاضت نزاعًا وصراعًا ثقافيًّا طويلًا مع الشعوب الزراعية المستقرة، وامتد هذا الصراع بين البداوة والعمران خلال فترات تاريخية طويلة، فالمقريزي؛ على سبيل المثال، رسم في صورة بالغة السواد لمظالم العربان وفسادهم في أرض مصر، وربط ابن خلدون هذا الفساد بنظريته عن البدو وطبائعهم الصحراوية التي تلتهم المدنية وتجلب الخراب للحضارات المستقرة، وكذلك كانت ملاحظات الكثير من المستشرقين تركز على الجور والمظالم التي ترتكبها جماعات البدو مع الفلاح المصري، لكن على العكس من ذلك فالتراث الشفهي الشعبي عكسَ صورة مغايرة للعربان في مصر، وعبّرت الثقافة الشعبية المصرية بشكل مختلف عن هذه العلاقة الصراعية، كما أن صورة "شيخ العرب" في الوجدان الجماعي الشعبي لم تكن سلبية بالضرورة.

هذا البحث يركز على كشف صورة شيوخ العربان في التاريخ المكتوب ومصادره وخاصة ما ورد عند المستشرقين والرحالة الأجانب ثم مقارنتها بما ورد في التراث الشعبي المصري، ليقف على تناقض المصادر التاريخية مع الوجدان الشعبي الذي يعكس بدوره تاريخا أدبيا موازيا ليقف على الصورة التي رسمها الأدب الشعبي ويهدف البحث إيضا للوقوف على أسباب التقدير الذي يصل للتقديس في النصوص الشعبية لمشايخ العربان وأسباب ذلك، خاصة أثر السير الشعبية وأبطالها، وكيف تعكس تلك النصوص الشعبية المكانة التي حازها العربان في الريف المصري، والتقدير الذي كان العامة ينظرون به إليهم بوصفهم أعيانًا وموثرين، ينتمون لأبطالهم الأسطوريين، كأبي زيد والسيد البدوي وغيرهما من الشخصيات التي صاغت الوجدان الشعبي المصري، وهو ما يناقض تلك الصورة التي رسمها المؤرخون وبعض المستشرقين بتصوير الصراع الاجتماعي بين العربان والفلاح المصري، وإن شئنا الدقة فإنها تعكس زاوية جديدة لتلك الصورة.

وقد اعتمد هذا البحث إلى جانب المصادر التاريخية العربية والأجنبية على الكثير من مراجع الأدب الشعبي المصري، ومصادره من أغاني وأمثال والعديد أو المراثي الشفهية التي يشيّع بها العامة موتاهم.

إنه بحث في الثقافة الشعبية وعلاقتها بالتاريخ المكتوب وتحاول الوصول إلى أهمية هذا التراث الشعبي المجموع وتحليله ليقدم ذاكرة بديلة للمجتمعات القديمة، التي كتبت تاريخها الخاص شفهيا وحرا وبعيدا عن التوظيف السياسي لهذا التاريخ.

عربان مصر خلفية تاريخية:

العربان الذين سكنوا ربوع مصر في هجرات متتابعة، شكَّلت موجات كثيرة، اختاروا سُكنى أطرافها الصحراوية الشرقية (إقليم البحيرة وأعلى الوادي)، فنصبوا خيامهم على محطات قوافلها، واستبدلوا بـ"نجد" صحراء مصر المحيطة بالوادى من كل جانب، وعاشوا على ذلك الهامش في جيوب قبَلية، ولم يتكيفوا أو يندمجوا بسهولة مع أهل الدلتا الطينية السوداء، الفلاحين الفقراء المنهكين.

توطّنت القبائل العربية تلك الأرض، لكن أهلها لم ينسوا قطّ بطون قبائلهم، تلك التي تركوها خلفهم، أو التي نزحت إلى أقاليم أبعَد. كما لم تنسَ تلك القبائل ماضيها، وأيامها، وعاداتها، وطبيعتها الخشنة، وحياتها المتقشفة، لم تنسَ ثاراتها، ولا أعرافها، ولا أحلافها، وكان الحفاظ على ذلك كله هو طوق نجاتها الوحيد من الذوبان الذي يُفنى هويتها، ويهدد وجودها. سكنت قبائل العرب أرضَ الوادى مُكرهةً أو مختارة، لكنها قاومت اندماجها الاجتماعى بكل وسيلة، وحاولت صنع حاضنتها الاجتماعية القبَلية بمزيد من العزلة، والحفاظ على نقاء الدم العربي.

وقد حافظ الكثير من العربان على أصولهم العرقية ونقائها من خلال عدة ممارسات عرفية؛ فعلى سبيل المثال، رفض العربان تزويج بناتهم بمَن استفلح منهم واندمج في الحياة المصرية. يروى كلوت بك حكاية شيخ من أغنياء العربان، كان لا يميل بفطرته إلا إلى الصحراء، ثم تغلب على هذا الميل باعتياده الإقامة في الحاضرة، حيث تسلم مقاليد الحكم على إحدى المقاطعات، وطلب وهو في مركزه هذا مصاهرة أحد شيوخ القبائل العربية، فرفض طلبه بحجة أنه بتطوره بطور الحضارة وإيثاره المعيشة في المنازل "فقدَ خشونة البداوة، وضعفت فيه العصبية والبسالة،

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

فأصبح غير أهل لأن يختلط نسَبه بنسبه".[١] (كلوت بك -٢٠١١-كما رفض العربان تزويج بناتهم بالمصريين (الفلاحين)، وكثرت الأمثال الشعبية التي تعبر عن ذلك المضمون؛ مثل قولهم: "أرميها في الرياح ولا أديها للفلاح"[٢] (شعلان، ج٢، ٢٠٠٣: ٢٨٢). ويبدو أن الحفاظ على النسب العربي من الاختلاط كان إحدى قضايا الحفاظ على الهوية التي خاضتها تلك القبائل، وكان الانتساب للقبائل العربية يضفي على الطبقات الوسطى المصرية نوعًا من الوجاهة والاحترام، وهي المكتسبات التي ورثتها القبائل العربية من تدشينهم كطبقة أرستقراطية إبان الفتح العربي، ومن خلال شجرة انتسابهم للقبائل القرشية وللرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو شرف حرص العربان على استغلاله لتأكيد سلطتهم الروحية والعرفية على أهل البلاد، فالانتساب لتلك القبائل مرتبط بالعروبة التي هى هوية الرسول والرسالة. وقد ترجمت الأمثال الشعبية هذه العاطفة، كقولهم: "النبي عربي وبلاده بعيدة" (شعلان، ج ١، ٢٠٠٣: ٥١٤)

كان للانتساب للقبائل العربية أبعاد اجتماعية كثيرة، ويعرف التاريخ المصري حدثين يفسران أهمية هذا الانتماء القبلى في السياق الثقافي والاجتماعى المصري؛ الحدث الأول يُعرَف بقضية (أهل الحرس) "١٥٨- ١٩٤" هجرية،

فتحكي المصادر التاريخية قصة جماعة من المصريين أسلموا وأرادوا أن يحظوا بنفس الامتيازات الاجتماعية التي يحظى بها العربان، فذهب هؤلاء المصريون إلى قاضي مصر آنذاك، ليثبت نسَبهم لإحدى قبائل أعراب الحوف الشرقي من العرب ذي الأصول الجنوبية اليمنية من قبيلة "قضاعة"، وقد قبلت تلك القبيلة بالشهود لهم بهذه القرابة، وشهدوا أمام القاضي بأن هؤلاء الأفراد ينتمون إليهم، وكانت بعض القبائل من عرب الجنوب اليمنيين أقل تشددًا من القبائل القيسية في الزواج والاختلاط بأهل مصر؛ لذلك وقفت قبيلة قضاعة إلى جانب أهل الحرس، فثارت القبائل العدنانية القيسية على القاضي، وانبرى شعراء ذلك الوقت في هجاء القاضي، وشهّروا به لموافقته على إعطاء بعض الأسر من وجهاء المصريين ما يفيد انتسابهم للعرب، وفي ذلك قال الشاعر معلى بن المعلى الطائي، موجهًا حديثه إلى القاضي:"إذا كنت قد ألقحتهم عربًا فزوجهم بناتك" (البري ،١٩٩٢: ٣٩٧)' ويذكر الكندي أن القاضي البكري أمير القضاء (قاضي القضاة) مالَ إلى رأي قبائل الشمال في عدم صح نسب "أهل الحرس"، ودعاهم إلى دار القضاء،

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

ومزق القاضي البكري شهادات النسب، وقال لهم: "العرب لا تحتاج إلى كتاب من قاضٍ، إن كنتم عربًا فليس ينازعكم أحد" (الكندي، ١٩٦٦: ٤١٤)

وتكررت مسألة النزاع على الأصول القبلية في حادثة تاريخية أخرى، تُعرَف بقوائم العربان، أو "لجان فحص العربان"، وهي لجان لفحص العرب الذين حافظوا على عروبتهم وأنسابهم وأحسابهم، ولم يصاهروا أو يختلطوا بأهل مصر، وقد كان يتم إثبات عروبتهم أمام لجان تفحص أنسابهم القبَلية. أنشئت تلك اللجان سنة (١٩١٠- ١٩١١)، وتشكلت من عمد القبائل ورؤساء مجالس القرعة، وكانوا يثبتون اسم كل فرد وبصمات أصابعه، وقد يسألون الكبار منهم عن أنسابهم وأحسابهم، أو عن أعمال العرب الدقيقة، فإن عجزوا سقطت عروبتهم" (منير، ٢٠٠٩: ٢١٨)

وتكشف هاتان الحادثتان عن صور التعصب للنسب القبلي والنقاء العرقي في مصر، وما زال هذا التعصب موجودًا حتى اليوم في بعض القبائل التي صمدت من الذوبان، فما زال العربان يتفاخرون بأشجار النسب وشهادات الفحص العرقي التي تؤكد جذور العشائر قبَليًّا، بل ما زال الانتماء للقبائل القرشية، والانتساب لأهل البيت شرفًا تحرص بعض العائلات الكبرى على التفاخر به.

أسهمت في تأصيل هذا التعصب القبلي، والاستعلاء على أهل البلاد من قبَل العربان تلك الصور الذهنية التي كوَّنها العربي عن الفلاح المصري منذ الفتح العربي، وغذّتها بعض المقولات التي لا نعرف مدى صحتها، وأججت عنصرية العربان تجاه الفلاح المصري (القبط)، وملخصها أن أهل مصر أهل مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وجبن وقنوط وقلة صبر. وكما ورد عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان "أهل مصر ثلاثة أصناف، فثلث ناس، وثلث يشبه الناس، وثلث لا ناس، فأما الثلث الذين هم ناس فالعرب، وأما الثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين لا ناس فالمسالمة (يعنى القبط)" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٥١)

واستفاض المقريزى في ترديد هذه المقولات عن أخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم التي تكونت في مخيلة الفاتح العربي، ومنها أن «المكر عشرة أجزاء، تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس»(المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٥٠)، كما يرى أن أهل مصر يغلب عليهم الخنوثة وقلة

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

الرجولة، وذلك لهلاك رجالها مع فرعون، فتزوجت النساء بالعبيد "فهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الرق واستولَدوهن" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٤٩)

كما يرى المقريزى أنه يغلب عليهم "الدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر، وسرعة الخوف، والحسد والنميمة والكذب والسعي إلى السلطان وذم الناس، وبالجملة فيغلب عليهم الشر والدنيّة التي تكون من دناءة الأنفس" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٣٩)

وفي وصف عنصر أخلاق المصريين، قال: "الغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذّات، والاشتغال بالترّهات، والتصديق بالمحالات، وضعف الموائر والعزمات، ولهم خبرة بالكيد والمكر" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٣٦)، كما ذكر أيضا:"ومن أخلاق أهل مصر قلة الغيرة، وكفاك ما قصَّه الله، سبحانه وتعالى، من خبر يوسف، عليه السلام، ومراودة امرأة العزيز له" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٤٦).

وللنساء في مصر أمر على الرجال، فالرجل في مصر ضعيف ولا حول له في بيته "لا يبيع أحدهم ولا يشترى إلا قال: استأمرتنى امرأتى" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٤٨)' ويعود ذلك طبقا للمؤرخ إلى أن "فرعون لما غرق، غرق معه أشراف مصر ورجالها، وترك وراءه النساء والعبيد، فاستولت النساء على المملكة لمدة سنتين، وتزوجن بالعبيد، واشترطن عليهم أن الحكم والتصرف لهن، فاستمر ذلك مدة من الزمان؛ ولهذا صارت ألوان أهل مصر سمراء، لأنهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن" (المقريزي، ج١، ١٩٩٧: ١٤٩).

لم تكن تلك النظرة الاستعلائية على الفلاح يتبنّاها العرب فقط، بل ربما كانت الصور النمطية المجحفة للفلاح المصري متأصلة في تاريخ الغزو الأجنبى لمصر عبر العصور، وما دأب المستعمر من اختزال وتعالٍ على أهل البلاد، فنالت صورة الفلاح المصري أثقال هذا التنميط الطبقى والعنصرى، التي سادت في فترة من الفترات، فتعريف الفلاح في ذلك السياق الاجتماعى هو ذلك الرجل من أهل الريف، يفلح الأرض ويزرعها، ويشير صاحب "هز القحوف في شرح قصيدة أبو شادوف" إلى مثالب ونقائص هذا الفلاح، فطبقا له "أهل الريف طبعهم كثيف وأخلاقهم رذيلة، وذواتهم هبيلة، ونساؤهم مزعجات، وذلك من كثرة معاشرتهم للبهائم" (أمين، ١٩٥٣ : ٢٩٩).

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

لم تكن تلك الصور السلبية التي كوَّنها العربي الفاتح عن شعب مصر إلا جزءًا من صراع طويل حضاري ثقافي، رأى فيه كل شعب هذه المسالب في نقيضه الثقافي، فكما كان هناك من المؤرخين مَن يتشيّع للجنس العربي، فقد كان هناك مَن يرى في تلك القبائل صورة من صور البداوة والهمجية.

تلك العلاقة الصراعية العدائية بين العرب وأهل البلدان التي فتحوها تحت راية الإسلام، تعود إلى طبيعة الاختلاف بين البدو والحضر، أهل الصحراء وأبناء الحضارات المستقرة، فالبدو -كما يرى ابن خلدون؛ على سبيل المثال- بطبيعتهم "مقتصرون على الضرورى في الأقوات والملابس والمساكن، وسائر الأحوال"(ابن خلدون،١٩٥٨: ٢٢٢)، أي تقتصر حاجاتهم على الضرورى للحياة، فبحكم طبيعة حياتهم المتقشفة لم يعرفوا الترف الذي تعرفه الحضارات المتمدنة، و"لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبُعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق" (ابن خلدون،١٩٥٨ :٢٢٣).

وبسبب نزعاتهم الفردية تلك، ورغبتهم في الصراع والحراك والتنقل بحسب طبيعتهم الصحراوية؛ فهم عاجزون عن إقامة حضارة، وهو ما لا يمكن أن يحققه شعب لا يعرف الاستقرار، فهم اعتادوا "الرحلة والتقلب، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران، ومُنافٍ له" (ابن خلدون، ١٩٥٨: ٢٧٠)

، فهم بفضل طبيعتهم الخشنة، وطريقة عيشهم الطويل في البراري؛ استحكمت بهم "عوايد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خُلقًا وجبلةً، وكان عندهم ملذوذ لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم، وعدم الانقياد للسياسة، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له" (ابن خلدون،١٩٥٨: ٢٧٠).

ومن ثم "صارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران، هذا في حالهم على العموم، وأيضًا فطبيعتهم انتهاب ما في أيدى الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حدٌّ ينتهون إليه، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون، انتهبوه"(ابن خلدون،١٩٥٨ :٢٧٠)

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

والعرب إذا حكموا فهم مشغولون ليس بصلاح حال الرعية، وإنما بجباية الأموال "إنما همّتُهم ما يأخذونه من أموال الناس نهبًا أو مَغْرَمًا" (ابن خلدون، ،١٩٥٨: ٢٧١) و وفقا لابن خلدون: "تبقى الرعايا في مَلْكَتِهم كأنها فوضى دون حكم، والفوضى مهلكة للبشر، مفسدة للعمران"(ابن خلدون، ١٩٥٨ : ٢٧١).

لا يقدم ابن خلدون في نظريته للبداوة والتمدن تبريرًا لطبيعة وسلوك العربان في الأقطار، التي تم فتحها بالإسلام واستقرت فيها القبائل العربية، بقدر ما يقدم تفسيرًا للتعالى القبَلى وعدم القدرة على الاندماج من قبَل تلك القبائل مع الشعوب ذات الثقافة الزراعية المستقرة، فأى شعوب تختلف في تكوينها الثقافي اختلافًا كبيرًا مع قيم البداوة التي عاشت قرونًا على الغزو والتنقل والإغارة، كما يقدم صورة مبكرة لصراع ثقافي سيتطور في بعض الأمصار الإسلامية ،ليصبح سببا في التنافر الثقافي بين العرب وسكان الأمصار من غير العرب، لكننا مع الأستشهاد بصورة العربان في فكر ابن خلدون وتاريخه، نود أن نؤكد أن هناك الكثير من النقد لرؤية ابن خلدون، التي أثارت جدلا واسعا حول ما شاب آرائه من تعميمات.

قُطّاع الطرق النبلاء: صورة العربان في الكتابات الإستشراقية:

تمتد الصور السلبية للعربان وشيوخهم ومجتمعاتهم القبلية وعاداتهم الاجتماعية وطباعهم الصحراوية، في المصادر التاريخية، خاصةً كتابات الرحالة، فقد كانت صورة البدوى، سواء في الجزيرة العربية أو في المجتمع المصري، شديدة الغموض والتناقض، وهي صورة سلبية بشكل عام، لكنها تتراوح أحيانًا في كتابات بعض الرحّالة بين سلسلة من المتناقضات؛ مثل: اللصوصية والشرف، الهمجية والنبل، الشجاعة وصدق الوعد من جانب، والخيانة ولؤم الطباع من جانب آخر.

(Edmé-François Jomard) يقف عند هذا التناقض في سلوك العربان في مصر الوسطى، فالجنرال الفرنسى أ.جومار قائلا:"يتحدث الناس كثيرًا عن فضائل العرب، وصراحتهم، والعقيدة الدينية التي تدعم كلمتهم، وعن ميلهم إلى إكرام الضيف، لكن أيًّا يكون الأمر في هذه المزايا، فعليك أن تبحث عنها في مكان آخر، وليس عند هؤلاء العرب الذين يقطنون مصر" (جومار، وصف مصر، ١٩٩٩ : ٢٠٣).

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

لم يكن أ. جومار وحده هو مَن تفانى في وصف عربان مصر بتلك الصفات، بل يمكن القول إن معظم ما تركه كُتاب الحملة الفرنسية كان يؤكد تلك الصور الهمجية والبربرية لعربان مصر بجميع طوائفهم.

دخل نابليون مصر ليؤسس إمبراطوريته الاستعمارية، ويحقق توسعاته التي حلم بها، وكان من الطبيعى أن يلقى كفاز (أجنبي، مسيحي) مقاومةً من العثمانيين وُكلاء الخلافة الإسلامية، والمماليك حكام مصر الفعليين، المهدَّدين بزوال نفوذهم، وشعب مصر الذي وصف الفرنسيين بـ"الكَفَرة الفرنسيز". لكنه فوجئ بأنه إلى جوار القوى السياسية التي قوامها الشعب والمماليك، توجد بمصر جماعة بشرية محيّرة وعصيّة على الاستقطاب، لم تسقط في معركة؛ لأن أفرادها مسلحون، ومستعدون للحرب دومًا، فكل مهاراتهم تنحصر في حمل الحِراب، وامتلاك الأسلحة، وكل مفاخرهم تنحصر في غزواتهم الحربية الصغيرة، التي تمكنهم من مناوءة النظام، وكل مناقبهم في الشجاعة، بل قُل الجرأة وعدم الخوف، والاستعداد للموت في سبيل الشرف الذي يصعب تفسيره في جملة محددة، فشرف العربي كما يقول الجنرال اندريوسي Antoine-François (Andréossy) يتمثل في قوّة البدوي وقدرته على القتال "ويزيد تقدير القبيلة لشيخها كلما ازدادت الندوب في وجهه دليلًا على ما تلقّى من جروحٍ دفاعًا عن الشرف، فهذا الشرف الذي هو دعامة الإمبراطوريات، يقوم بالدور نفسه عند هذه العُصَب البائسة من اللصوص (أندريوسي، وصف مصر، ١٩٩٩: ٧١)، فقد درّبتهم القرون التي قضوها في الكر والفر في مواجهة المماليك، على مهارات يصعب توافرها لغيرهم. ومهارة الكر والفر تتقنها كل الشعوب الرعَوية غير المستقرة، فمع إرهاصات الخطر الذي لا قِبل لهم بمواجهته، يحملون كل متاعهم فوق جِمالهم وخيولهم، ويركضون في الصحراء التي خبروا مساراتها وخبرَتْهم، وعادةً ما تحتوى على مخابئ لطعامهم وأموالهم، أو على مقربة من أحلافهم القبلية الأخرى، ويستعينونى ذلك بدهاء بدَوى موروث "لا يمكن مقارنته إلا بجسارتهم" (جومار، ١٩٩٩ : ٢١٠)، تلك الجسارة هي التي مكّنتهم من البقاء، وأمدَّتهم بالقدرة على الصراع الدائم، وفرض قانون القوة الذي أتاح لهم الاستيلاء على القرى الواقعة على شاطئ النهر.

فالعربان الذين أقطعوا الكُور البعيدة، زحفوا من أطراف الأرض إلى ضفتى النهر، ثم قاموا تدريجيًّا بمصادرة القرى على الجانبين، فيكفى أن يضعوا حِرابهم على تخومها، ثم يخيّمون في

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

قرى صغيرة، وبعدها يستعملون تلك القوة في قطع السدود، ليستولوا على الماء اللازم لرَى أراضيهم، التي عادةً لا يستطيعون زراعتها بأنفسهم، فيكْرون الفلاحين لزراعتها، بينما هم يقضون أوقاتهم في البحث عن غزوة، يستطيعون فيها ممارسة مهارات السلب والنهب، أو التلهى بإطلاق قطعانهم على الأراضى المنزرعة، أو يبدؤون في التوسع عن طريق الغزوات الصغيرة؛ ليضيفوا إلى أملاكهم مساحات جديدة أكثر خصوبة، وهم في ذلك يمارسون نوعًا من "السلوك الاستبدادي" على المزارعين، حتى صاروا "سادة مجرى النيل" (جومار، ١٩٩٩ :٢٠١).

ولا يجد الفلاح الذي تمت إزاحته بُدًّا من العودة؛ ليزرع تلك القرى التي كانت في حوزته، ثم "أصبحت ملكًا للعرب"(جومار، ١٩٩٩: ٢١٤)

والقبيلة العربية - كما يرصد علماء الحملة الفرنسية - لا تملك ولا تستأجر هذه الأراضي، وهي مع ذلك تمثل نفوذًا ونوعًا من السيطرة في دائرة هى أكبر بكثير من هذه الأراضى نفسها، وتكون لكل قبيلة دائرة نفوذ تتلاصق مع غيرها من القبائل، ويحددون دوائر نفوذهم على الأرض في ما بينهم، وكأنها أرضهم والبلد بلدهم، فلا تستطيع أى قبيلة التعدى على مناطق نفوذ الأخرى "إن المرء لَيملكه غضب شديد وهو يرى قُطّاع الطرق النبلاء هؤلاء يجوسون بوقاحة خلال الديار التي خربوها، أو يعسكرون من حول القرى التي أفرغوها من سكانها" (جومار، ١٩٩٩ : ٢١٤).

هكذا تحولت قرى الوادى إلى شبه مستعمرات بدوية، ومناطق نفوذ بين القبائل، يقسمونها فيما بينهم، ويفرضون سلطتهم على نطاقها، ويثيرون الذعر في أهلها، حتى أن المماليك صاروا يتحاشون الاصطدام بهم، فتكاد قراهم تخرج عن نطاق الضرائب المقررة على الإطلاق لأي شخص" (جومار، ١٩٩٩: ١٩٩)' فهم لا يعرفون القوانين ولا يحترمونها، والقانون الوحيد الذي يخضعون له هو قانون القصاص واستخدام القوة (أندريوسي،وصف مصر، ١٩٩٩: ٧٧)، وهم في تلك النجوع والمستعمرات يُظهرون نحو الفلاحين تعاليًا عنصريًّا وعجرفةً "يبدون وكأنهم رضعوها مع لبن أمهاتهم. وحيث إن هؤلاء لا يتصاهرون إلا فيما بينهم، فيزعمون أنهم بذلك قد احتفظوا بدمهم نبيلًا نقيًّا، خُلق خصيصًا لحكم مصر" (جومار، ١٩٩٩: ٢٢٤)

وهم يعتقدون بشرف أنسابهم وتمايزهم العرقي، ويعتزون بماضيهم كسادة وفاتحين، ويمارسون استعلاءً غير مبرر على فلاحى مصر "ليس هناك واحد من هؤلاء البدو، لا يضع نفسه في مرتبة الفلاح. ويشعر هؤلاء البدو نوعًا من العار من القيام بنفس عمل الفلاح، وحيث إن هؤلاء لا

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

يعرفون حقًّا أكثر مشروعية من حق القوة، وأنهم لا يهاجمون، في العادة، إلا الذين لا يمتلكون القدرة على الدفاع عن أنفسهم، فإن المكاسب التي يحصلون عليها تجعلهم في وضع ينظرون معه لأنفسهم باعتبارهم المُلاك الحقيقيين" (جيرار، وصف مصر، ج ٤، ١٩٩٩: ٣٩).

وقد استوقف بعضَ المؤرخين كيف ينظر البدو إلى أنفسهم كـ"حكام شرعيين لمصر"، وهو ما كان العربان يعتقدون به في الحقيقة، كما ظلوا ينظرون إلى الأتراك والمماليك باعتبارهم غاصبين "ونتيجة ذلك فقد اقتسموا هذه المناطق، وأخذت كل قبيلة تحصّل في المنطقة التي آلت إليها بعض الضرائب العينية" (إيميه، دى بوا، وصف مصر، ١٩٩٩ : ٢٩٩).

وتكررت، في مصادر عديدة، هذه الملاحظة حول اعتقاد العربان في أحقيتهم بأرض مصر وحكمها، ووردت بصيغ استنكارية، أغفلت السياق التاريخى الذي عاش فيه العربان داخل مصر كجزء من نسيجها الاجتماعى السياسي؛ فعلى سبيل المثال، يلاحظ "إجومار" أن البدو ينظرون إلى أرض مصر باعتبارها "عقارًا لهم"، وتحت هذا الادعاء يأتون إليها ليمارسوا آلاف الانتهابات والسرقات. وقد سعت كل حكومات مصر إلى ردعهم، لكنها لم تنجح في ذلك كل النجاح. "وفي خضم هذا الصراع، وجد الفلاح المسكين نفسه يرتعد فرْقًا من عمال الحكومة الذين يعتصرونه، ويُثقلون كاهله، ومن العربان الذين ينتهبونه، ويسفحون دمه" (أندريوسي، وصف مصر، ١٩٩٩: ٧٦)، وهى الملاحظة التي أشار إليها عدد أخر من علماء الحملة ضمن ملاحظاتهم، ومن بينها "إن العربان يعتقدون أنهم أصحاب حق في أرض مصر، وأحق من المماليك وغيرهم، بحكم ما ورثوه من سلطة إبان الفتح، فهم يتعهدون بتقديم نوع من الحماية إلى تلك القرى التي على سكانها أن يقبلوا بأنهم مجرد أتباع لهم، دافعى جزية"[٣٧].

ويتعجب جومار من احترام الفلاحين لهم، وهو عُرف ورثه العربان منذ الفتح الإسلامى لمصر، قائلا: "يمكن القول بأن الفلاحين يحترمونهم كسادة لهم، ويُستقبَل أقلُّ واحد من هؤلاء العربان شأنًا -سواءً أكان مسافرًا على ظهر جمَلِه، أو سائرًا على قدميه- باحتفالٍ في الريف، فيهرع إليه الناس حاملين الماء إذا كان عطشانَ، والبلح والخبز إن كان جائعًا. أو على الأقل، فإن أى فلاح يستجيب لتقديم هذه الأشياء عند أول طلب" (جومار ،١٩٩٩ :٢٠٩).

أما اللصوصية الممتزجة بالشرف، فقد كانت العنوان الكبير الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية لسلوك هؤلاء العربان، فهم بطبيعتهم قُطاع طرق، بل يمكن التكهن بأن هؤلاء اللصوص المرعبين،

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

الذين يسكنون شواطئ النيل في الصعيد، ويقطعون طرق القوافل والمراكب، ويثيرون الذعر، هم على الأرجح، كما يرى جومار، ليسوا سوى "سكان القرى العربية" (جومار، ١٩٩٩: ٢٠٧)، واللصوصية أو قطع الطرق، وغزو القرى ونهبها، لا يعتبرونها أعمالًا معيبة تستوجب التوارى منها خجلًا، فحتى شيوخ هذه القرى، أى شيوخ العربان، كانوا يقطعون الطريق، ويُرهبون الناس في الأسواق، ولا يستطيع الفلاح أن يجادلهم في السعر. وهم يستولون على دواب الفلاحين المسالمين في أثناء عودتهم من حقولهم، حيث ينقضّون عليهم فجأة لينتزعوا منهم ما أرادوا. ومن ثم فقد وجد الفلاحون أن الاحتكام أو اللجوء إليهم لفض مظالمهم مع العربان، لن يُجدى نفعًا، فشيخ القبيلة دائمًا ينحاز إلى أفراد قبيلته، والمُلاك أو الشيوخ العرب "بالِغُو الثراء، ولهم نفوذ كبير في البلاد، ويستمدون مكانتهم تلك من الفزع الذي يُحدثونه في النفوس" (جومار، ١٩٩٩: ٢١٢).

أما عن علاقتهم وسياستهم مع جنود الحملة وقوادها، فقد صوّرها الفرنسيون كبرهان على اللؤم المتأصل في طبعهم، وأن الكذب والخداع "عادة متأصلة فيهم"(٤١) (جومار، ١٩٩٩: ٢١٢)، فهم لا يحترمون العهود، بل "ينتهكون المواثيق التي وضعوها، كلما أملى عليهم ذلك ضعفهم، أو مصلحتهم" (أندريوسبي، ١٩٩٩ : ٢٧٠). لذلك تم نصح الجنود الفرنسيين بالاحتراس من العربان، بقدر ما يحتمى من "اللصوص والسفاحين" (أندريوسي، ١٩٩٩: ٢٧٤). وقد حاول الفرنسيون الاستعانة ببعضهم كأدلّاء، لكنهم غالبًا ما كانوا يتواطؤون مع المماليك، ويخدعون الفرنسيين، فقد كانوا "يرشدون الفرق الفرنسية إلى طرق عكسية غير تلك التي كان عليهم أن يسلكوها للحاق بالمماليك"(جومار، ١٩٩٩: ٢٠٦).

كما كانت الفرق الفرنسية هدفًا لأعمال النهب والإغارة التي يقومون بها. وكثير من تلك الفرق كانت شهودًا على أساليبهم المتهورة العنيفة، ومدى قدرتهم على السلب والنهب، بأشكال تبعث على الدهشة "فكم من مرة أخذوا الخيول وهي على مقربة من فرسانها، أو أخذوا الأسلحة من موقع، أو دورية استطلاع، أو من الحرس أنفسهم! بل لقد انتزعوا حقائب وبنادق من تحت رؤوس الجنود" (جومار، ١٩٩٩: ٢٠٧). وقد كابدَ الفرنسيون من غزوات العربان على قوافلهم، وانتهابهم الجنودَ، وإزعاجهم جيشَ الحملة الفرنسية بمصر، وهو ما أثار حنق بونابرت كثيرًا، حتى أنه فكر في مطاردتهم بالهجانة لإخراجهم من مصر نهائيًّا. ويثبت ذلك مدى وجود العربان كقوة مناوئة للاحتلال الفرنسي، في سياق المقاومة المصرية. ومثلما دخل نابليون خرج، وبقي

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2026
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2026

العربان. لكنه لم ينسَ في مذكراته أن يكتب عن "ضرورة كبح جماح عشرين ألفًا إلى ثلاثين ألفًا من اللصوص المعتصمين بفسيح الصحراء، حيث لا تنالهم ضربات العدل" (كلوت بك، ٢٠١١: ٤٢٥).

وفي دراسة أ. جومار لإقليم مصر الوسطى، يرى أن الاستقرار النسبى لبعض القبائل لم يغير طابعها البدوى، فقد ظلوا يحملون بذرة البداوة في تكوينهم الاجتماعي، فعند أية إشارة للحرب، أو النزاع، يتحولون إلى فرسان يتسلحون بالحراب، ويعسكرون في السهول. وقد ظلوا محتفظين بأصولهم. لذلك فهم يختلفون كليًا من حيث الهيئة، وملامح وجوههم، وخصالهم وطباعهم، عن المصريين "فقد استمر الدم العربي يتدفق في عروقهم دون اختلاط، حتى أنك لا تستطيع أن تميز ملامحهم عن ملمح العربان المحاربين، فقد احتفظوا بخطوط الوجه، وخصوصًا العينين الصغيرتين اللامعتين، اللتين تميزان هذا الجنس. وإن كانوا قد احتفظوا فوق كل شيء بروح الجشع، والضراوة، والشِّجار، والمماحكة" (جومار، ١٩٩٩: ١٩٨).

وعلى الرغم من أنهم جاوروا الفلاحين زمنًا، فإنهم بقوا على طبيعتهم البدوية، ولم تكن جيرتهم مريحة للفلاحين، بل كانت جيرة كارثية، فهم يجورون باستمرار على أراضيهم "بادعاء حقوق قديمة مزعومة قد تعود، حسب أقوالهم، إلى عشرة أجيال. وأخيرًا، فهم عندما لا يجدون ذريعة تُسعفهم في تبرير جورهم هذا، فإنهم يركبون خيولهم، ويستولون بقوة السلاح على الأراضى التي تناسبهم...، وهكذا يعيش الناس في مجاورتهم، في خوف لا ينقطع، وعلى مر الأيام يتناقص سكان القرى المحيطة بهم، حتى تُهجَر تمامًا"(جومار، ١٩٩٩: ١٩٢).

أما الطبقة الثانية من العرب، وهم قبائل المحاربين، أو العربان الذين يحترفون التنقل ويرفضون الإقامة، فهم الطبقة الأكثر عددًا، والأكبر قوة. وهؤلاء ليسوا أقل خطرًا، ولا تعدّيًا عن غيرهم من العُربان، فهم "يحومون حول مصر كما لو كانوا ذئابًا جائعة تحوم حول فريسة دسمة"(إيميه، دى بوا، وصف مصر، ج٢ ١٩٩٩: ١٦٤). ويكوِّن البدو غير المستقرين جماعات بشرية، لا تملك أرضًا ولا تدفع ضريبة، فقبائلهم تعسكر على أطراف مصر لترعى ماشيتها حينًا، أو لممارسة السلب والنهب، والإغارة على القرى التي تقع في محيط إقامتهم أحيانًا أخرى. وبعضهم يظهرون كل عام لقضاء عدة شهور على حدود مصر؛ مثل قبائل "الجيب الغربي"، كالهنادى وأولاد على "كى يقوموا بالانتهاب والسلب، ويبعثوا الرعب والأحزان في هذا الوقت من كل عام"(لوبير، ، وصف

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

مصر، ١٩٩٩: ٤٠). وحتى من يقوم منهم بالخفارة وحراسة الطرق، يفرضون الإتاوات التي يستحوذون عليها بوصفهم مُلاك هذه الطرق وحكامها. ومنهم أعداء أشداء، تخشى بأسهم ولايات مصر الشرقية، حيث "تضطر القوافل التي تعبر الصحراء إلى دفع المكوس للقبائل المالكة للأراضى التي تمر بها؛ خوفًا من أن تهاجَم، وتُسلَب أمتعتها، ويؤخذ أفرادها عبيدًا وسبايا، أو يُشَتتون في الصحراء"(دى بوا- إيميه، ١٩٩٩، :٢٩٨).

(M. Le Pér)ويقترح "لوبير" وغيره من علماء الحملة، وجوب توطين هؤلاء البدو وتأهيلهم ليصبحوا مزارعين. وهو اقتراح لم يكن جديدًا، فطالما حاولَ حكام مصر فعل ذلك، لكن لوبير أقترح أن يتم ذلك بالقوة "أن نسلك معهم مسلك العنف والقسر، بقدر ما ينبغى أن نخلع عليهم حمايتنا ضد القبائل التي تقف منهم موقف العداء"[٥٣]. "وينبغى على حكام مصر حتى بلغوا بهم هذا الحال أن ينتزعوا منهم، عن طريق هجمات خاطفة، ماشيتهم، وبخاصةٍ خيولهم، لأنهم سيصبحون مضطرين للاستقرار وممارسة الزراعة إذا ما حرموا من وسائل الهرب السريعة، وهو الأمر الذي سيحد من غاراتهم وانتهاباتهم. وينبغى حتى نرغمهم على ذلك أن نستولي على الحبوب التي يحصدونها من بعض المناطق التي تساعد مياه الأمطار على زراعتها، وذلك قبل أن يقوموا بحصادها، فإن وطأة العوز ستضطرهم إلى اللجوء لطلب عون من الحكومة"(لوبير، ١٩٩٩: ٣٩).

ولكن تلك النصيحة التي يحرض عليها لوبير، كانت قد مورست كسياسة طويلة، ولم تُجدِ نفعًا، فالهجوم على العربان بالتجريدات المملوكية، وسلبهم ماشيتهم وخيولهم، لم يكن يُفضى سوى إلى ثارات عرقية طويلة، أدت إلى حملات انتقامية متبادلة، ونزوح من منطقة إلى أخرى، تطيح بالاستقرار والتوطين المنشود، والاستيلاء على مزروعاتهم سيؤدى إلى حملات مضادة، يستولى فيها العربان على حصاد القرى المجاورة. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء في تقديم معلومات ديموجرافية وأنثربولوجية عن أعداد العرب وعاداتهم وتقاليدهم، واتسام بعضها بالتعاطف مع الطبيعة الفطرية المتقشفة الحربية التي تعيشها هذه القبائل، فإن الصورة الكلية التي تركها علماء الحملة عن العربان كانت في المجمل قاتمة وأحادية، وغير منصفة في كثير من الأحيان، ولا نستطيع أن نطمئن إليها كليةً، فهي تكشف عن تباين ثقافي أدى إلى تعثر في فهم الطبيعة البدوية بشكل عام.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

محمد علي وعربان مصر: "نَفْسي لا تقبل التحكم"

تسلم محمد على زمام الأمور في مصر، في وقت كان العربان فيه "قد بلغوا من الجبروت، وشدة البأس الناهية، فقد كانوا يفرضون الإتاوات على سكان مصر، ويضربون الفدية، لا يزعهم عن ذلك وازع، بل كان لا يصدهم أحد عن الزحف على مدينة القاهرة ودخولهم دخول الفاتح لسبى النساء وخطف الأطفال، ونهب الأموال، وكان لا يجرؤ أحد على زيارة الأهرام بغير رضائهم وأمرهم، وكانت القوافل التي تجتاز برزخ السويس، تدفع لهم الفروض الفادحة من المال، تلك الصورة التي رسمها "كلوت بك"، لم تكن جديدة، فقد كان انهيار سيطرة المماليك والأمراء الأتراك في مصر، يتوازى مع محاولات العربان في فرض نفوذهم. ولأنهم ليسوا قوات حربية منظمة ذات أهداف محددة؛ فظلت محاولاتهم فردية، وحشية، هدفها الغزو وممارسة النفوذ والسيطرة، وليست بهدف بناء دولة. ولا شك في أن محمد على كان يدرك طبيعة مصر، فبدأ بمراكز القوى المناوئة واحدًا تلو الآخر، ثم انفرد بالعربان، واتّبع معهم سياسة تضع في حسبانها طبيعة العربان الخاصة "فاستخدم أساليب مختلفة من القوة والإرهاب، إلى الترغيب والاستمالة، والتأثير فيهم بما يخدم مصالح الدولة" (عبد المنعم، ١٩٩٧: ٧٣)، ومزج محمد على بين الحملات العسكرية التي تطاردهم وتقوض تحالفاتهم مع غيره من المماليك؛ مثل "الألفى بك"، فإذا ما شعر البدو أن بيده زمام القوة، لجأ إلى سياسة المهادنة، وعقد الصفقات وإقطاع الأراضي. وأحيانا ما كان يلجأ إلى تأليب تلك القبائل بعضها على بعض، وتوريطها في صراع قبلى يضعفها. والباشا يُعِين هذا على ذاك، ثم يقتص لهؤلاء من هؤلاء. على سبيل المثال؛ استغل العداء والخلاف بين قبيلتى الهنادى وأولاد على -وهم أولاد عمومة- في إقليم البحيرة، لتأليب القبيلتين، وتحريض كل منهما على الأخرى، وقدم المساعدة العسكرية للفريقين لإضعافهما، والتخلص من أكبر عدد ممكن من شيوخ القبيلتين، ثم فصل بينهما بإجلاء الهنادى للشرقية، وفرّق كلا منهما في جهة من الجهات، لينهى بذلك قوتهما المشتركة (الجبرتي،ج٤، ١٩٧٧ :٧٨- ٨٢) ويفصّل الرافعى في وصف ما انتهجه محمد علِى مع العربان، قائلًا إنه "رأى من الحكمة بادئ الأمر في أن يهادن زعماء القبائل، ويسلك حيالهم مسلك المحاسنة، فعقد الاتفاقات معهم، ولكن القبائل نقضت هذه الاتفاقات، فأدرك محمد على أنه لا مناص من أخذهم بالقوة، فجرد عليهم كتائب الفرسان، فأخذت تناوشهم، وتسد عليهم السبل، إلى أن أذعنوا، وثابوا إلى الطاعة، وطلبوا الصلح. فرضى أن

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

يصالحهم على أن يقيم زعماؤهم بالقاهرة، ليكونوا رهائن عنده، يضمن بهم طاعتهم وولاء قبائلهم. وأجرى عليهم الرواتب والأرزاق، فكان لهذه الوسيلة تأثير كبير في إخلاد القبائل إلى الهدوء والسكينة. ولجأت الحكومة إلى وسيلة حكيمة تصرف بها البدو المنتشرين في أطراف البلاد عن عيشة البداوة، وتدخلهم في حظيرة العمران، فأقطعتهم أراضيَ شاسعة، أعفتها من الضرائب، ينتفعون بها ويستغلونها"(الرافعي، ١٩٨٩: ٥٥١).

لم تكن فكرة الرهائن جديدة كليًا، فكثير من القبائل البدوية تتبع هذه السياسة حين تبرم عهدًا وتريد إجبار غيرها على الالتزام به، ولكنها هذه المرة مع الباشا محمد على آتت أُكلها، وأدت إلى نتائج حاسمة لصالحهم في هذا الصراع، خاصةً أنه عرض على العربان الالتحاق بالجيش النظامي، الذي يقوم بتأسيسه. وذلك ما طمح به العربان طويلا، على أمل أن يعودوا كما كانوا جندًا لهم رواتب وحظوة. كما أن الحرب ربما هى المهارة الوحيدة التي يجدون فيها مجدَهم، وسعت كل الحكومات إلى دفعهم إلى تركها، وامتهان الزراعة بديلا عنها.

وبعد ذلك اجتذب محمد على رؤساء العشائر من العربان، ليصبحوا جزءًا شبه مستقل من جيشه كفِرَق أو تجريدات، تقوم بمهمات الكر والفر، وهى المهمات التي يعجز أى جيش نظامى عنها، خاصةً حين تكون المواجهات في أماكن ذات طبيعة جغرافية، لا يعرف مسالكها ودروبها ومتاهاتها سوى العُربان، فحبَّب محمد على إليهم الانخراط في سلك الجيش النظامى الذي أسسه، وعرض أن تدفع لهم الحكومة أجورهم "على شرط أن يأتى كل منهم بفرسه وبندقيته، فلبّوا الدعوة، واستفاد الجيش المصري منهم فوائد جمّة، واشتركوا في حروب السودان، والحجاز، وسوريا، والأناضول. واتخذ منهم إبراهيم باشا حرَسه الخاص" (الرافعى، ١٩٨٩: ١٥٢)، على الرغم من جهود محمد على وأبنائه في توطين البدو، فقد استمر البدو - بحسب المصادر التاريخية- على تلك الحال التي ألفوها من التعدى على أملاك الفلاحين، فاستبدلوا بأرضهم وإقطاعاتهم أرضًا أكثر خصوبة قسرًا، وأرغموا بعض الفلاحين على ذلك، واستمروا في مناوشة القرى، وإطلاق قطعانهم عليهم (انظر، الرافعي، ١٩٨٩: ٨٧)، وتشغيل الفلاحين في أراضيهم، وتكوين طبقة من الأعيان والبكوات والبشوات الذين استغلوا الفلاح المصري لعقود.

إن الاستقراء التاريخى لفترات طويلة من تاريخ مصر يكشف النزاع والصراع بين مكونَين من مكونات المجتمع المصري، هما البدو (القبائل العربية)، والفلاح المصري، وما زال هذا النزاع

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

يندلع في القرى الصغيرة على أطراف مصر. ورغم التغيرات الاجتماعية والسياسية التي قلصت نفوذ البدو والإقطاعيين، فلا شك أن عقودًا طويلة قد كرَّست صورًا سلبية لتلك القبائل، فصورة البدوى التي قدمتها المصادر التاريخية كانت قاتمة، ورسمت مزيجًا من الهمجية والبدائية والتوحش، وجعلت من الفلاح المصري ضحية لهذا المُحارب المتوحش الذي يفرض سيطرته ونفوذه على أرياف مصر، فضلًا عن حواضرها.

والسؤال الذي يطرح نفسه على الباحث بعد هذا الاستقراء التاريخي، هل رسم الأدب الشعبي المصري صورة للعربان؟ فهذا النزاع والتجاور التاريخى الطويل بينهم، ولا شك، قد انعكس في الإنتاج الشفهي الذي يعبر عن الوجدان الجمعى للشعب المصري، فإذا كانت المصادر التاريخية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لا تخلو من ذكر مفاسد شيوخ العربان وتمردهم كقوة سياسية، وما تسبب فيه هذا التمرد السياسى من استبداد بأهل البلاد من الفلاحين، وما قاساه الفلاح من السلب والنهب والغزو والإغارة وقطع الطرق وتهديد قوافل الحجاج، والسطو على محاصيل الفلاح والإغارة على القرى الآمنة، وقطع الجسور، وأسرفت بعض المصادر في تصوير الفلاح المستسلم لهؤلاء العربان الذين ينشرون الذعر، وتزداد حركات تمردهم حتى تصبح سيطرة وسيادة تامة على بعض الأقاليم، وإقامة المراكز الخارجة عن سلطة الدولة، وتكوين إمارة محكومة ذاتيًا بشيوخ العربان الذين اضطهدوا الفلاح المصرى- فكيف عبّر الوجدان الشعبي عن هذا الصراع؟ لكن الباحث في الصورة التي رسمها التراث الشعبي للعربان سيفاجأ بأن صورة العربان (شيخ/ شيخة العرب) لم تكن سلبية، بل يمكن الجزم من استقراء وتحليل الكثير من النصوص الشعبية، من أغانٍ وعديد وأمثال شعبية، بأن المصريين رسموا صورًا لشيوخ العربان، تحمل كثيرًا من الاحترام والتقدير. ورغم الصراع والنزاع بين الثقافتين الزراعية والرعوية، والتاريخ المليء بالمظالم، فإن أشكال التعبير الشعبي حملت ميراثا من الإعجاب، يصل إلى التقديس لصورة شيخ العرب في الوجدان الشعبي المصري. ويعود ذلك، من وجهة نظرى، إلى ما تمتع به العربان في مصر من حفاوة، مصدرها التقديس لكل ما يتصل بأهل البيت، واقتناعًا بأن النبى كان عربيًا، وأن تلك القبائل تمتد عروقها لشجرة نسبه، بالإضافة إلى أن الكثير من الأولياء الصالحين والأبطال الأسطوريين في المخيلة الشعبي كانوا ينتمون في أصولهم إلى تلك القبائل، فالصورة التي ارتسمت للبدو في مصر ولشيخ العرب في الذاكرة الشعبية المصرية إشكالية تتراوح بين الاحترام والتقدير

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

الدينى للفاتح العربي صاحب الرسالة واللغة والديانة، وبين الازدراء لهذا البدوي، الهمجى المستلب، مستغل أرض مصر التي شكلت الضرع العامر بالخيرات.

تظهر تلك الصور المتناقضة؛ على سبيل المثال، في بعض الأمثال الشعبية مشيرةً إلى صلافة وعنجهية وعدم أمانة البدَوى؛أو ذو الأصول القبلية والذين يطلق عليهم إجمالا (عرب)، كقولهم: "جور الترك ولا عدل العرب"(بوكهارت، ٢٠٠٠ :٧٧)، "ضيف البدوى يسرق ثيابك"(بوركهارت، ٢٠٠٠: ١٥٧) وقولهم أيضا: "كله عند العرب صابون"(شعلان، ج ١، ٢٠٠٣ : ٤٤٣)، والمعنى أن العرب يشتهرون بأنهم أجلاف لم يأخذوا من المدنية بطرف، لذلك فهم لا يميزون ولا يعرفون الحسن من الرديء.

والعربان لا ذمة لهم ولا رحمة "آه من ابن العرب، لما يقدر ما يعفيش" (شعلان، ج٢، ٢٠٠٣: ٤٧٣)

لكن التراث الشعبي تضمن أيضًا، بشكل كبير، صورًا عن إعجاب المصري بشخصية البدوى وشيوخ العربان؛ كقولهم "كل قبيلة ولها شيخ"(شعلان، ج٢، ٢٠٠٣ :٤٥٤)، ومنها قولهم :" ولا كل من ركب الفرس خيال ولا كل من لف العمامة زانها"(شعلان ،ج٢، ٢٠٠٣ : ص٤٥٩)

وقولهم: "كبير الراس فارس، كبير الراس أمير، ولا يحلّ المجالس إلا أبو منخور كبير"(شعلان، ج٢، ٢٠٠٣: ٤٦٠).

ارتبط التقديس برموز السيرة الهلالية وأبطالها؛ فعلى سبيل المثال، كان الشعب المصري يرى المجد والمنعة وكرم الأصل متجسدًا في بطل السيرة الشعبية الفارس العربي أبي زيد الهلالى سلامة، وكانوا يضربون به المثل في العزة، فيقولون لمن يترفع على الناس على سبيل الاستنكار: "أبو زيد خالك؟"، ويقولون في غلبة الأمر الواقع: "دار حالك ولو كان أبو زيد خالك"، ويؤكدون أن "المديون ذليل ولو كان أبو زيد خاله".

فـ"أبو زيد" يمثل في الوجدان الشعبي المصري نموذجًا لشيخ القبيلة، الفارس والمُنقذ، هو "أبو العرايب" كما يوصَف في سيرته "فى العرب يسمى أبو زيد المساير، وفي الحروب يا شيخ تلقاه صاحب جراير" (عمران، ٢٠٠٦: ٢٩٣- ٣٠٨).

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] [DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from sanad.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020

وإلى جانب "أبو زيد الهلالى" كانت شخصية "شيخ العرب السيد البدوى" تحتل مكانة روحية كبيرة في الوجدان المصري، وما زال البسطاء من فلاحى مصر يحجّون لمقامه طلبًا للبركة، والسيد البدوى هو أيضًا في قصص هؤلاء المدّاحين "شيخ العرب"؛ كقولهم في وصفه:

"مدد يا شيخ العرب يا عم يا سيد، يللى جمعت في رحابك العبد والسيد،

يا قطب يللى الهواية خلتك سيد، ادعى لنا ربك يزيل عنا الألم والكرب

يللى دُعاك مستجاب يا عم يا سيد"(الصفناوي، ٢٠٠١: ٢٩٠).

ويمكن ملاحظة ما يحظى به شيوخ العربان من تقدير في الوجدان الشعبي المصري من خلال استقراء بعض نصوص الأدب الشعبى؛ كالأغانى والعديد وغيرهما من الفنون الشفهية التي تعكس صورة إيجابية للعربان في الوجدان الشعبى.

الكثير من العدودات المصرية (شعر المراثي) تستلهم صورة "شيخ العرب" للتعبير عن قدر ومكانة الميت، أو عن سلطته ونفوذه الذي ارتجّ وتزعزع عرش القبيلة بموته، فبيت "شيخ العرب" هو موضع عزوة القبيلة، وموت شيخ العرب يعنى خرابًا وتشرذمًا وضياعًا وتبعثرًا لتلك العزوة، كما تقول العدودة:

"عالى بيتنا اتهد من ساسه.. نبحت كلابه واتبعترت ناسه

عالى بيتنا اتهد من غربه، نبحت كلابه اتبعترت عربه" (حفني، ١٩٨٢: ٩١)

ومقارنة شيخ العرب في نفوذه الاجتماعى مع الباشوات وذوي السلطة والمنزلة وحسن السيرة هي مضرب للمثل؛ ففى رثاء شيخ العرب تقول العدودة:

"أقول عليك القول وأتمثل.. شيخ العرب قد الباشات وأكتر

أقول عليه القول كله زين.. شيخ العرب قد الباشات وأخير" (حفني، ١٩٨٢ :١٠٠)

وفي مرثية أخرى:

"يا شيخ العرب شيع لك المأمور.. علشان قضية تفكها وتقوم"(ماسبيرو، ٢٠٠٠: ١٢٦)

وترتبط مكانة شيوخ العرب، والعربان بشكل عام في الريف المصري، بما تمثله السيرة الهلالية وشخصيات أبطالها في الوجدان الشعبي، فكثيرًا ما يأتى العديد مصحوبًا بإشارات إلى أبطال السيرة وما لهم من مكانة؛ كأبى زيد الهلالى والزناتى خليفة، وغيرهما من الأبطال الذين تركوا في الوجدان

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

الشعبي أثرًا عميقًا؛ ففى عديد أعيان العربان، تقف العدودة المصرية على صورة بيت شيخ العربان، مثل بواباته الكبيرة التي تعكس وجاهة ومكانة صاحبها، من أرياف مصر حتى حدود تونس التي هى منتهى تغريبة العرب، فتقول العدودة وهى تسائل البوابة: من سيكون وكيلك وصاحبك بعد موت صاحب البيت؟

"بوابته يا أم السبع لوحات من تونس الخضرا وكيلك مات

بوابته يا أم السبع مسامير من تونس الخضرا وكيلك مين؟ " (حفني، ١٩٨٢ :١٠٠)

وفي عديد أو رثاء شيوخ العربان يبرز حسن السيرة المرتبط بأمجاد "الزناتية" نسبةً إلى بطل السيرة "الزناتى خليفة"، والهلالية، وهى القبيلة التي ينتسب إليها أبو زيد الهلالى وغيره من الفرسان، فموت "شيخ العرب" يستدعى كل قصص البطولة التي تُنسب لهؤلاء الأبطال في المخيلة الشعبى. تقول العدودة:

"أقول عليه القول بالمية.. قول الزناتية والهلالية" (حفني، ١٩٨٢ :١٠٠)

وبينما يستحضر موت شيخ العرب قصص البطولة وأمجاد التغريبة ومروياتها المتصلة بالشجاعة والكرم والإقدام، فإن (عديد) المرأة الشابة يضع بنت (بكرة) العرب نموذجًا للكمال والعزوة التي يُنسَب إليها الجمال العربي الأصيل، فشعرها الذي يشبه سبيب الخيل، والشرف الذي يكلل جبينها ناصع البياض وهم يُدلون جسدها في القبر:

"بكرة عرب ونازلة تشرب والشعر خيل والجبين أبيض

بكرة عرب ونازلة م الريف والشعر خيلى والجبين نضيف" (حفني، ١٩٨٢: ١٢٥)

فصورة المرأة الشريفة التي يتركها ركب العربان لتواجه مصيرها بعد الدفن هى من الصور المتكررة في العديد، ويستخدم تعبير "بكرة عرب" للدلالة على صغر سنها وشرف نسَبها، ولكن الموت يُجبر هذا الركب من الفرسان على تركها خلفهم، ويُرغم أخاها على أن يُدليها في التراب:

"بكرة عرب والركب خلاها.. هانت على أخوها ودلاها

بكرة عرب والركب همّلها.. هانت على أخوها ونزلها" (حفني، ١٩٨٢: ١٢٥)

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

وعديد أو مراثي المرأة الكبيرة ذات العزوة والأصل الشريف يكون بوصفها "شيخة العرب"، فعديد المرأة كبيرة السن يتم بذكر مكارم الشيخة العربية التي يزينها شرف الأصل وصيانة العرض، وكمال الأخلاق، والسلامة من العار:

"شيخة عرب تتحط جوه رواق.. كاملة المعانى وسالمة من العار

شيخة عرب تتحط جوه الجيب.. كاملة المعانى وسالمة من العيب" (حفني، ١٩٨٢: ١٤٢)

بعض تلك العدودات تكشف المكانة التي اكتسبها العربان في ريف مصر، ومن مظاهر ذلك في هذا العصر حرص تلك القبائل على اقتناء العبيد الذين كانوا يدينون بالولاء للقبيلة، فلا تخرج بنت العرب إلا وهي محاطة بعبيد قبيلتها الذين يوفرون لها مكانة اجتماعية تميزها عن العامة، وفي عديد شيخة العرب تأتى صورة العبد لتعبّر عن علوّ المكانة، ورفعة الأصل. تقول العدودة:

"شيخة عرب والعبد لابوها.. صعبت علينا نهار ودّوها

شيخة عرب والعبد صنعتها.. صعبت علينا نهار دفنتها"(حفني، ١٩٨٢: ١٤٢)

وتبدو مفردة الشرف إحدى الدلالات اللغوية التي تحيط بهيبة شيخة العرب، فالشرف، سواءً كان المقصود به شرف الأصل أو صيانة العرض، هو إحدى الصفات التي أعلاها القانون القبَلى، خاصةً فيما يتصل بالنساء. ومن ذلك قولهم:

"اسم الله عليكِ يا شيخة العربان.. يللى تناكِ شرف الشيلان

اسم الله عليكِ يا شيخة العربان.. يللى تناكِ شرف الرقبة"(حفني، ١٩٨٢: ١٤٣)

و (التنا) -بفتح التاء- المضاف إلى ضمير المخاطبة المؤنثة، في قولهم (تناكِ)، المراد به السلوك والخلق، وهى الكلمات التي بطل استعمالها في البيئة نفسها، والشيلان هى التي تشد على العمائم، أى أن سلوكها يشرّف عمائم رجالها.

"يا عامرة بيتك رحلتِ ليش.. قولى لنا سبب الرحيل عليش

لا ترحلى يا شيخة العربان.. يللى تناكِ بيض الشيشان" (ماسبيرو ٢٠٠٠: ١٣٧)

والمكانة الاجتماعية التي اكتسبها العربان في الريف المصري تتبدى في الكثير من الظواهر التي كان العربان يحرصون عليها؛ مثل إكرام الضيف، ما جعل القرويين من فلاحى مصر يُظهرون التقدير لمكانة وهيبة بيوت العربان المفتوحة والمستعدة لاستقبال الزوار:

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020

"شيخة عرب يا فارشة اللباد.. كلمى وحبايبك على الباب

شيخة عرب يا فارشة حمولك.. ما تكلمى ده حبايبك جولك" (حفني، ١٩٨٢: ١٤٢)

ولم يكن الشرف والمكانة الاجتماعية فقط هو ما أضاءته الكثير من العدودات، فالثراء والغنى أيضًا كان أحد تلك الملامح، فشيخة العرب التي تفترش لبادها وتجلس في فاتحة بابها للزوار هى أيضًا تلك المرأة التي تتزين بالمجوهرات إظهارًا للثراء وعلوّ المكانة:

"اسم الله على شيخة العرب ما تموت.. حلقها دهب وعقدها ياقوت

اسم الله على شيخة عرب تانى.. حلقها دهب وحجلها ريالي"(حفني، ١٩٨٢: ١٤٣)

لكن تلك الحجول التي تميز العربان، وتلك الزينة أصابها الصدأ من قسوة المرض.

"شيخة عرب على الفرش تتغدى.. خلخالها زاد العيا صدى"(حفني، ١٩٨٢: ١٤٤)

وترتبط صورة العربان بأصولهم الحجازية الشريفة، التي تجعل لهم مكانة روحية ونفوذًا اجتماعيًّا في الريف المصري، فبكاء شيخة العرب يستحضر البلاد المقدسة:

"ست الحجازى الدنقرى الأكحل.. شيخة عرب شدولها ترحل

ست الحجازى الدنقرى المجدول.. شيخة عرب عاطينها الموصوف" (حفني، ١٩٨٢: ١٤٣)

ولموت شيخة العرب ترتج الأبواب، ويتزلزل الوادى، ويخرج العربان لسماع الخبر حين تم تشييعه، فينتفضون من كل حدب وصوب. تقول إحدى تلك العدودات إن شيخة العرب التي خلعوا عند الموت لآلئها وثيابها المصبوغة (مقندلها)، فكان ذلك حدثًا عظيمًا، وارتج المنزل مَن هول المصيبة:

"شيخة عرب قلعوا لواليها.. قام الصرير واترج واديها

شيخة العرب قلعوا مقندلها.. قام الصرير واترج منزلها" (حفني، ١٩٨٢: ١٤٣)

لم يكن العديد فقط هو ما يكشف صورة شيخ/ شيخة العرب في الثقافة الشعبية المصرية، بل عكست أغانى الأفراح أيضًا صورة مماثلة للعروس (بنت شيخ العرب)، فهى صاحبة سلطة وسلطان، وسليلة عز ومجد، ليس فقط في الأغانى الشعبية المصرية، بل أحيانًا في التراث الغزاوى القريب من مصر، وكان إقليم غزة يخضع أيضًا للتقسيم المصري آنذاك؛ فمما سمعته يتردد في بعض مناطق سيناء القريبة من غزة غناء بعض الفتيات:

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir on Saturday, August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

"يا بنت شيخ العرب يا أم العباية السودا
وأبوكِ شيخ العرب حاكم على العوجا
يا بنت شيخ العرب يا أم العباية الزرقا
وأبوكِ شيخ العرب حاكم على البلقا"[١]

فبنت شيخ العرب هى السيدة ذات الحسب والنسب ووريثة المجد من مصر إلى حلب، تلك المساحة التي امتدت فيها القبائل وتناثرت بطونها. ومن غنائهم في ذلك:

"ها المصمودة بنت شيخ العرب.. ها المصمودة بنت شيخ العرب
مدت السفرة والمعالق ذهب.. مدت الفرة والمعالق ذهب
يا صيت أهلها من مصر لحلب.. يا صيت أهلها من مصر لحلب"[٢]

وبنت العرب في تراث أغانى الأفراح المصرية هى سليلة المجد، فهى بنت الأكابر والأبطال العظام، التي تنتسب إلى الهلالى صاحب السيرة؛ تقول الأغنية:

"بنت المقادم م الصغر خطبوكِ.. البدر عمّك والهلالى أبوكِ" (الأسيوطي، ٢٠١٢: ٥٩)

والوقوع في هوى بنات العرب يشكل مخاطرة، فهن عصيات على الاستمالة، ولا يمكن الارتباط بهن، ويبدو ذلك المعنى في الكثير من المواويل الشعبية، ومنه:

"خطروا بنات العرب والقلب فيه حنة
يمشوا بصنعة يا بوى خلوا جسمنا حنّى
اتحرك لسانى وقلت:
مصر عالية ليه؟ قالت: وانت فايت أهلك وناسك وجاى ورايا ليه
قلت لها: أنا يا جميل في هواك طبّيت
قالت: تحب ملم يحبك
يك يا فتى اتجنيت" (الأسيوطي، ٢٠١٢: ٥٩)

---

١. تلك الأغنية جمعتها الباحثة من أعاني الأفراح في منطقة الشرقية.

٢. هذه الأغاني تم تسجيلها في أحد أعراس قبيلة "مزينة" بمنطقة القنطرة شرق الشرقية، مصر.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

وفي موال آخر ينصح المغنى صديقه بأن يكون أهلًا لذلك بالغنى والحسب:

"لو كان ودك بنات البدو يهوينك

جر الماسم وشيل البن في كمك

أربع غزالات يرعن في دريس ربه

ومحسبات في النبى من صيد أبو جبه" (ماسبيرو ٢٠٠٠: ٢٠٦)

وبعض الأغانى تعكس صورة بنات العرب باعتبارهن بنات الحسب والنسب اللاتى يتوفر لهن رغد العيش:

"واللي خطبتوها ودي بنت مين يا عرب

واللي خطبتوها ودي بنت شيخ البلد

والريس أبوها ودي بنت مين يا عرب

ما يحلف إلا على الناقة ويدبحها

ويطلع البنت من بيته مصيغها

ودي بنت مين يا عرب" (فضل، ٢٠٠٢: ١٥٠)

فهي ابنة الحسب والنسب وابنة الأكابر والرجال ذوي الهمة (المقادم)، ويعادل مهرها ألفين من الجنيهات الذهبية:

"بنت المقادم والرجال الزينة

أبوكِ هنا ولا نروح له الخيمة

بنت الأكابر روحوا شاوروا أبوها

وألفين شريفة في الطبق حطوها

بنت الأكابر والرجال الزينة

أبوكِ هنا ولا نروح له الخيمة" (فضل، ٢٠٠٢: ١٥٠)

وبنات العرب عاليات القدر، ومهرهن غالٍ، لا يقدر على الفوز بهن إلا ذوو الحظوة:

"يا عرمة الرز ومتمنة غالى

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

دا احنا بنات العرب مهرنا غالى

ما نلبس إلا الحرير من فوق شعالى

ما نكحل العين كحل شب حيران

يا عرمة الرز ومتمنة غالى

دا احنا بنات الأصول ومهرنا غالى" (غانم، ٢٠٠٥: ٤٧)

والكثير من الأغنيات التي تصف العريس تقف على كونه ابن العرب أيضًا، أى يحظى بالاحترام والتبجيل لما له من أصل وعزوة:

"طلقنا البخور والعطر من قدام

سلام عليك يا مجالس العربان

طلقنا البخور والعطر من قدامه

سلام عليك يا مجلس أعمامه"(فضل، ٢٠٠٢ :١٦٨)

فالعريس له حضور وأبهة وعظمة كأنه ابن عرب أو ينتمي للبهوات والبكوات الأتراك:

"عتيق مثل البحر له شيمه وله برمات

خراج ولد العرب والترك والبيهات" (ماسبيرو، ٢٠٠٠ :٢٠٧)

وابن العرب له سطوة وعزوة، ويخطف حبيبته من بين أهلها في وسط النهار وفي ذلك إشارة للقوة والعزوة :

"يا بت يا أم القميص الأحمر بسيالة

خدك وليد العرب في عز قيالة

يا بت يا أم القميص أحمر بسيالتين

خدك وليد العرب من بين حبابى العين"(الأسيوطي، ٢٠١٢: ١٤٦)

ولم تخلُ أهازيج الأم وهي تهدهد طفلها من بعض الصور التي تكشف المكانة الاجتماعية التي حظي بها العربان في الريف المصري؛ فتقول الأم لوليدها مُهدهدةً:

"يا ولد يا ولد عملوك عمدة البلد

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

يا ولد يا ولد حسك طالع في البلد

والبحيرة عبيدك

والغز خافت والعرب" (الأسيوطي، ٢٠٠٢: ٦٦)

فالأم في هذه الأهزوجة ترى في طفلها "سمات النجابة والقيادة التي تؤهله لأن يكون عمدة البلد... لقد اتسع نطاق سطوته حتى صار عرب البحيرة، وهم المسموع عنهم الخروج على كل الحكام- عبيدًا له" (الأسيوطي، ٢٠٠٢: ٦٧)

وفي أهزوجة أخرى لترضية الأم، يقول الابن الذي يتودد لأمه:

"أمى الحبيبة ما أقدر أحاربها

لأجيبلها العربان وأطايبها

أمى الحبيبة ما أقدر أعاديها

لأجيب لها العربان وأراضيها" (الأسيوطي، ٢٠٠٦: ٤٤)

والمعنى أنه: إذا غضبت منى أمى الحبيبة فسأفعل المستحيل من أجل أن أطيّب خاطرها، وإن أُضطُررت إلى توسيط شيوخ العربان حتى ترضى عنى.

تعكس تلك النصوص الشعبية المكانة التي حازها العربان في الريف المصري، والتقدير الذي كان العامة ينظرون به إليهم بوصفهم أعيانًا وموثرين، ينتمون لأبطالهم الأسطوريين، كأبى زيد والسيد البدوى وغيرهما من الشخصيات التي صاغت الوجدان الشعبي المصري، وهو ما يناقض تلك الصورة التي رسمها المؤرخون وبعض المستشرقين بتصوير الصراع الاجتماعى بين العربان والفلاح المصري، وإن شئنا الدقة فإنها تعكس زاوية جديدة لتلك الصورة.

نتائج البحث:

عرف التاريخ الاجتماعي والسياسي المصري اشكالا من النزاعات العرقية بين القبائل العربية التي دخلت وتوطنت مصر والشكال الأفريقي منذ الفتح الإسلامي لمصر، وانعكس ذلك في صور قاتمة للنزاع بين أهل البلاد من المصريين (القبط) والعربان، وخاصة في الفترات التاريخية التي سادها الفوضي السياسية، ورغم ميراث المشاحنات والنزاعات بين البدو والفلاحي مصر ويمكن أن نُجمّل الصورة النمطية عن طبيعة البدوي بشكل عام. وقدمها المستشرقون والدارسون، في أنه صعب

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] [DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020

الانقياد دائم التمرد على السلطة، باستثناء سلطة قبيلته، ولا يعرف الولاء لغيرها، وهو بصورةٍ ما متوحش، ومتقلب وسريع الغضب، ولا يعرف الولاء. ولكن تلك الصورة لم تكن سوى أحد تجليات البداوة التي لم تنسجم قط مع الحياة خارج صحرائها؛ وبالرغم من ذلك التاريخ السياسي، الحافل بكل التناقضات والنزاعات، بين عناصر الأمة الواحدة، لا ينفي أن البدو شكّلوا قطعة من فسيفساء لوحة الموازييك المعشق التي كوّنت الثقافة المصرية. فضلًا عن نسج العربان حاضنتهم الاجتماعية والثقافية التي سجلتها عبر مأثوراتهم الشفاهية، وأصبحوا جزءًا من النسيج المتعدد، والمتلون لهذا الوطن، الذي تمردوا عليه، لكنهم في النهاية لم يعرفوا غيره. كما يحفظ لهم الوجدان الشعبي المصري صورًا أكثر إشراقًا وتسامحًا ومروءة، على الرغم من هذا التاريخ الطويل من المواجع. والباحث في التراث الشعبي المصري سيجد في تلك المأثورات صورة مشرقة، فالوجدان الشعبي المصري والتراث الشفهي من اغاني وامثال وعديد رسموا صورة مختلفة للعربي تحمل الكثير من التقديس والتقدير لاسباب عديدة من بينها محبة آل البيت وتقديس اصولهم العربية، و عمق تأثير الابطال الشعبيين في الوجدان الجمعي، وقد عرضنا لعددمن هذه النصوص التي يحتل فيه شيخ وشيخة العرب وبنات العرب مكانة وتقديرا يعكسه هذا التراث الشفهي العفوي، هذا التعارض يعود في رأيي إلى أن التاريخ الرسمي و الاستشراقي كان مكتوبا لأسباب في مجملها سياسية، ويخص فترات تاريخية معينة ،محددة ولا يمكن أطلاقها بشكل عام، على العكس من ذلك فإن التاريخ الشعبي يمثل رافدا أسياسيا في استجلاء تلك الصورة ويمثل بعدا أصيلا ينبغي الإحتكام أليه في أستجلاء تاريخ دخول العرب لأرض مصر.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.(١٩٥٨) **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق أ.م. كارمير، طبعة باريس.
- الأسيوطي، درويش. (٢٠١٢) **أفراح الصعيد الشعبية**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- ----- (٢٠٠٢) **من أهازيج المهد**، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- ----- (٢٠٠٦) **أشكال العديد في صعيد مصر**، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

- أمين، أحمد. (١٩٥٣) **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، القاهرة ١٩٥٣، منشور إلكترونيًّا بواسطة مؤسسة هنداوي.
- أندريوسي. (١٩٩٩) **رحلة إلى وادى النطرون، وصف مصر**، ج (٢) ،ترجمة زهير الشايب، القاهرة.
- البري، عبد الله خورشيد. (١٩٩٢) **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- بوكهارت، جون لويس. (٢٠٠٠) **العادات والتقاليد المصرية: من الأمثال الشعبية في عهد محمد على**، ترجمة إبراهيم أحمد شعلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الجبرتي، عبد الرحمن. (١٩٩٧) **عجائب الآثار في تراجم الأخبار**، ج(٤) تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- جومار. (١٩٩٩) **العرب والعربان في مصر الوسطى، وصف مصر**، ج (٢)، ترجمة زهير الشايب، القاهرة.
- جيرار، ب. س. (١٩٩٩) **الحياة الاقتصادية في مصر**، ج (٤)، ترجمة زهير الشايب، القاهرة.
- حفني، عبد الحليم. (١٩٨٢) **المراثي الشعبية (العديد)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- دى بوا- إيميه. (١٩٩٩) **القبائل العربية في صحراوات مصر، وصف مصر**، ج (٢)، ترجمة زهير الشايب، القاهرة.
- الرافعي، عبد الرحمن. (١٩٨٩) **عصر محمد علي**، دار المعارف، القاهرة.
- شعلان، إبراهيم أحمد. (٢٠٠٣) **موسوعة الأمثال الشعبية المصرية**، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- الصفناوي، فتحي عبد الهادي. (٢٠٠١) **مدخل إلى دراسة المأثورات الشعبية الغنائية**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- عبد المنعم، إيمان محمد. (١٩٩٧) **العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عمران، محمد. (٢٠٠٦) **موسيقى الغجر المصريين**، المركز المصري للثقافة والفنون، القاهرة.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

- غانم، محمد حسن. (٢٠٠٥) **أغاني الأفراح في القاهرة الكبرى**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- فضل، محمود أحمد. (٢٠٠٢) **الأغنية الفلكلورية للمرأة المصرية**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- كلوت بك، أنطوني برتملي. (٢٠١١) **لمحة عامة إلى مصر**، ترجمة محمد مسعود، دار الكتب القومية، القاهرة.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري. (١٩٦٦) **الولاة والقضاة**، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة.
- لوبير، جراتيان. (١٩٩٩) **جولة في إقليم المريوطية؛ وصف مصر**، ج (٢)، ترجمة زهير الشايب، القاهرة.
- ماسبيرو، جاستون. (٢٠٠٠) **الأغاني الشعبية في صعيد مصر**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي. (١٩٩٧) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة.
- منير، عمرو عبد العزيز منير. (٢٠٠٩) **قبائل العرب في الشرقية بمصر بين التاريخ والموروث الشعبي**، مجلة الثقافة الشعبية البحرين، العدد السادس صيف ٢٠٠٩.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0430 on Saturday August 15th 2020

References

- al- Maqrīzī ,Aḥmad ibn ʻAlī Taqī al-Dīn. *Al-mawāʻiz wa-al-iʻtibār fī ḏikr al-ḫiṭaṭ wa-al-āṯār ,Mawâʻiz wa'l-Iʻtibâr fî dhikr el-khitat wa'l-âthâr* (History of al- Maqrizi)، Published by: Maktabat Madbūlī, Cairo,1997.(Arabic)
- Al-Asyuṭi , Darwish. *ashkal al-ʻadīd fi ṣaʻīd Miṣr* (Oral Lamentation in upper Egypt) , published by : l-Hay'ah al-ʻĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah, Cairo, 2006. (Arabic)
- Al-Asyuṭi, Darwish. *afrāḥ al-Ṣaʻīd al-shaʻbīyah* (songs of weddings in upper Egypt), Published by al-Hay'ah al-Miṣriyah al-ʻAmmah lil-Kitab, Cairo ,2012. (Arabic)
- Al-Ǧabartī , ʻAbd ar-Raḥmān. *ʻAjā'ib al-āthār fī al-tarājim wa-al-akhbār ,*('Abd al-Rahman al-Jabarti's History of Egypt) ،The National Library of Egypt, Cairo,1997. (Arabic)
- Amin ,Ahmed. *Qāmūs al-ʻādāt wa-al-taqālīd wa-al-taʻābīr al-Miṣrīyah,*(lexicon of Egyptian Tradition), Published by : Dār al-Shurūq,Cairo , 2010. (Arabic)
- Andréossy ,Antoine-François. *Waṣf Miṣr*, (Description of Egypt , by France. Commission of sciences and arts of Egypt 1809-1828),Translated by Zuhayr Shāyib, Volume 2 , Published by: Maktabat Madbūlī,Cairo، 1999.
- Barri ,Abd Allah Khurshīd. *al-Qabā'il al-ʻArabīyah fī Miṣr* ،(Arab tribes in Egypt) Published by : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, Cairo*,1992.* (Arabic)
- Burckhardt, John Lewis. *al-ʻādāt wa-al-taqālīd al-Miṣrīyah* (customs and tradition of the modern Egyptians), Published by : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, Cairo,2000.
- Clot-Bey. *Lamḥah ʻāmmah ilá Miṣr* (A general Glimpse of Egypt), Translated by: Muḥammad Masʻūd, Published by : Dār al-Kutub wa-al-Wathā'iq al-Qawmīyah, Cairo ,2011. (Arabic)
- Dubois, Aimé. *Waṣf Miṣr*, (Description of Egypt , by France. Commission of sciences and arts of Egypt 1809- 1828),Translated by Zuhayr Shāyib, Volume 2 , Published by: Maktabat Madbūlī,Cairo، 1999. (Arabic)
- Faḍl, Maḥmūd Aḥmad. *al-ughniyah al-fulklūrīyah lil al-Mar'ah al-mar'ah* (The folk song of Egyptian women،)published by al-Hay'ah al-ʻĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah, Cairo,2002. (Arabic)
- Fatḥī ʻAbd al-Hādī, Ṣinfāwī. *Madkhal ilá dirāsat al-ma'thūrāt al-shaʻbīyah al-ghinā'īyah : al-fulklūr al-ghinā'ī* (Folk songs; Arab countries; social aspects; history and criticism),Published by: al-Majlis al-Aʻlá lil-Thaqāfah, Cairo, 2001. (Arabic)

- Ghānim, Mohammed Hassen ,*Aghānī al-afrāḥ fi -al-Qāhirah al-Kutubkhānah*(Wedding songs in Greater Cairo)،published by: al-Hay'ah al-'Āmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah, Cairo,2005. (Arabic).
- Girard,B.S.. *Waṣf Miṣr*, (Description of Egypt , by France. Commission of sciences and arts of Egypt 1809- 1828),Translated by Zuhayr Shāyib, Volume 4 , Published by: Maktabat Madbūlī,Cairo، 1999. (Arabic).
-
- Ḥifnī, 'Abd al-Ḥalīm. *al-Marāthī al-sha'bīyah : al-'adīd* (al adid : Oral Lamentation in upper Egypt) , Published by: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, Cairo, 1982. (Arabic).
- 'Abd al-Mun'im, Īmān Muḥammad. *al-'Urbān wa-dawruhum fī al-mujtama' al-Miṣrī fī al-niṣf al-awwal min al-qarn al-tasi' 'ashar* (On the role of nomadic herdsmen in early 19th century Egyptian society), Published by : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, Cairo,1997. (Arabic).
- 'Umrān, Muḥammad. *Mūsīqā al-ghajar al-Miṣriyīn* (Music of the Egyptian Gypsies),Published by: al-Markaz al-Miṣrī lil-thaqāfah wa-al-Funūn, Cairo, 2006. (Arabic).
- Ibn Khaldūn, Abd al-Raḥman ibn Moḥammad. *The Muqaddimah (* An introduction to history*),*Princeton, N.J. ,Princeton University Press, 2005. (Arabic).
- Jomard ,Edmé-François. *Waṣf Miṣr*, (Description of Egypt , by France. Commission of sciences and arts of Egypt 1809- 1828),Translated by Zuhayr Shāyib, Volume 2 , Published by: Maktabat Madbūlī,Cairo 1999.
- (Arabic).
- Kindi, Muhammad ibn Yusuf Abu 'Umar. *Kitâb el wulâh wa, Kitâb* (Rulers and judges) ,Publisher By *:* Lajnat al-Ta'līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, Cairo 1966. (Arabic).
- Le Pér, M. *Waṣf Miṣr*, (Description of Egypt , by France. Commission of sciences and arts of Egypt 1809- 1828),Translated by Zuhayr Shāyib, Volume 2 , Published by: Maktabat Madbūlī,Cairo، 1999. (Arabic).
- Maspero، Gaston، *'alá al-aghānī al-sha'bīyah fī Ṣa'īd Miṣr* (Popular songs in Upper Egypt),Published by : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, Cairo ,2000. (Arabic).
- Munīr ,'Amr 'Abd al-'Azīz. "al-Mawsū'ah al-ḥurrah fī tārīkh wa-adab qabā'il Āl Arab fi Miser(Arabs in Sharkia, Egypt, between history and folk heritage), Arshīf al-Thaqāfah al-Sha'bīyah lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth wa-al-Nashr ,al-Baḥrayn, Volum 6. 2009. P22-29. (Arabic).
- Rafi'i, 'Abd al-Rahman. *Kifāḥ ša'b fī 'ahd al-ḥamla al-faransīya* (The History of Egypt in Mujammed Ali Era), Published by: Dār al-Ma'ārif,Cairo ,1989. (Arabic)

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8] Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0430 on Saturday, August 15th 2020 [DOI: 10.29252/san.1.1.92]

- Sha'lan, Ahmed Ibrahim. *Mawsūʻat al-amthāl al-shaʻbīyah al-Miṣrīyah* (Encyclopedia of Egyptian proverbs), Published by: Dār al-Āfāq al-ʻArabīyah, Cairo, 2003. (Arabic)

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday, August 15th 2020

مطالعات روایت شناسی عربي
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶
دانشگاه خوارزمی

تصویر شیخ العرب ها؛ خوانشی در متون فولکلور شفاهی مصر

میرال محجوب الطحاوی رایانامه: miral.mahgoub@asu.edu
دانشیار ادبیات معاصر عربی، دانشگاه ایالتی آریزونا ، آمریکا

چکیده

این پژوهش به بررسی تصویر انسان بدوی و شیخ العرب ها در میراث مردمی فولکلور از طریق تحلیل نمونه ای برگزیده از متون مردمی وشفاهی رایج عربی می پردازد. این نمونه ها شامل کتاب الأغانی و متون دیگر می شود. این پژوهش با هدف بررسی تصاویر پیچیده و مبهم انسان های بدوی در مصر و رصد چگونگی ترسیم تصویر شیخ العرب در میراث شفاهی ومردمی مصر پرداخته است که در طرز تفکر آنها نیز منعکس شده است. این پژوهش بر تعارض بین این تصویر و تصاویر ریتمیک منفی ای که تاریخ رسمی درباره عربها در مصر برجای گذاشته است، تکیه دارد. مورخان عرب و شرق شناسان تصاویری متناقض و مبهم از عرب و عربهایی که در مصر زندگی کرده و یا از آن در برهه های متعدد تاریخی عبور کرده اند، ترسیم کرده اند. همچنین به چگونگی درگیری طولانی فرهنگی این قبایل با ملت های کشاورز مستقر پرداخته اند. این درگیری بین بادیه نشینان و آبادی نشینان در برهه های طولانی تاریخی ادامه داشته است. برخی اشخاص تصویری بسیار سیاه را از ظلم عربها وفسادشان در سرزمین مصر ترسیم کردها اند. همچنین ملاحظات زیادی از شرق شناسان وجود دارد که بر ظلمی که جماعت بادیه نشینان در حق کشاورز مصری مرتکب می شدند، متمرکز شده اند ولی بر عکس همه اینها، میراث شفاهی مردمی تصویری متفاوت از عرب ها را در مصر منعکس کرده اند و فرهنگ مردمی مصر با تسامحی بیشتر از وجود عنصر عربی در بافت فرهنگی و اجتماعی مصر استقبال کرده است. همچنین تصویر شیخ العرب در اندیشه جمعی مردمی تصویری لزوما منفی نیست بلکه برخی اوقات قابل تقدیر و تقدیس است. در این پژوهش به بررسی برخی متون مردمی شفاهی از کتاب های عدید و اغانی و امثال با هدف تحلیل متون رایج و نیز بررسی نشانه های تصویر عربها در فرهنگ مردمی مصر می پردازم. همچنین به این خواهم پرداخت که چگونه اندیشه جمعی مصر تصویر شیخ العرب را در میراث نثری و مردمی ترسیم کرده وچگونه این تصویر با تصاویر ریتمیک ومنفی ای که تاریخ رسمی درباره مبارزه سیاسی و اجتماعی بین کشاورزان وعربها در مصر به جای گذاشته است، متناقض است.

کلیدواژه‌ها: روایت شناسی عربی، تصویر شیخ العرب ها، فولکلور مصری، سنت های مردمی، میراث شفاهی، قبایل عربی، سرودهای مردمی تصویر عربها.

[DOI: 10.29252/san.1.1.92]
[Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2018.1.1.4.8]
[DOI: 10.29252/san.1.1.92]

استناد: طحاوی، میرال محجوب، پاییز و زمستان (۱۳۹۸). تصویر شیخ العرب ها؛ خوانشی در متون فولکلور شفاهی مصر (به زبان عربی). مطالعات روایت شناسی عربی، ۱(۱)، ۱۲۸-۹۲.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۸، دوره۱، شماره۱، صص. ۱۲۸-۹۲.

دریافت: ۱۳۹۸/۱۱/۲۷ پذیرش: ۱۳۹۸/۱۲/۱۴

© دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی

[DOI: 10.29252/san.1.1.92] [DOR: 20.1001.1.26767740.2019.1.1.4.8] [DOI: 10.29252/san.1.1.92]
Downloaded from san.khu.ac.ir at 16:09 +0330 on Saturday August 15th 2020